

القسم الأول

الاستعمار الحديث

الخطوط العامة للاستعمار والتخلف

يقوم الاستعمار الحديث على العلاقات الاقتصادية المجحفة التي تفرضها كتلة الدول الاستعمارية على كتلة الدول المتخلفة . فهذه البلاد التي نالت استقلالها السياسي مؤخرا ما زالت بنظر المستعمرين مستودعا هائلا للمواد الأولية الثمينة وللأيدي العاملة الرخيصة . وفي هذه الأيام ، التي لا تسمح للقوي باحتلال بلد الضعيف والاقامة فيه بحماية جيش استعماري ، لا يتمكن المستعمر من هب ثروات البلد المتخلف الا عن طريق استعماره اقتصاديا بربطه بعلاقات اقتصادية مجحفة بمصالحه . والاستعمار ، في هذه الحالة ، يستعيز عن جيش الاحتلال الدائم ، باقامة جملة استعمارية حول البلد المتخلف . تحاصره من داخله وخارجه . وتتألف الجملة من أعوان الاستعمار في داخل البلد المتخلف ، ومن التواعد العسكرية من بقايا الاحتلال الاستعماري القديم في منطقة البلد المتخلف ، ومن الاساطيل الاستعمارية ، والاحلاف الاستعمارية ، ودور السفارات والمؤسسات الاستعمارية ، والمخربين والداسين الخ .

المال والتقدم للمتخلف

ان التخلف هو النتيجة التاريخية للاستعمار القديم الذي استفاد من اوضاع اجتماعية بالية ، كانت توجد في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية ، فأقام في هذه القارات امبراطوريات استعمارية واسعة ونهب منها محيطات من الثروات والقيم وسبب تخلف شعوبها عن ركب التقدم . كذلك كان النهب الاستعماري سببا في زيادة سرعة التقدم المادي في بلاد الاستعماريين .

ان البلد المتخلف ، البلد الذي تمكن أخيرا من انتزاع استقلاله السياسي ، هو بالتعريف بلد يفتقر الى رؤوس الاموال الكافية والملاكات الفنية الضرورية لتشغيل اليد العاملة في استثمار ثرواته بأسلوب حديث عقلائي . أي أن البلد المتخلف يحتاج الى المال والتقدم العلمي الضروري : ورأس المال ، بالنسبة لجميع المذاهب الاقتصادية ، هو مجموع قيم متراكمة ينتجها الانسان ويدخرها . فاذا تعطل ادخار القيم ، لسبب من الاسباب ، في بلد ما ، فان رأس المال لا يظهر في هذا البلد اذ عندما تذهب القيم الناتجة بين استهلاك البلد ونهب المستعمر فان المال لا يتجمع في هذا البلد ، واذا تفاقم نهب المستعمر انخفض استهلاك البلد وانخفضت سوية أهله ، فيحرم من المال والعيش الكريم . لذلك كان من مصلحة البلد المتخلف أن يفعل كل ما باستطاعته ليمنع تسرب القيم التي تنشأ فيه الى جيوب المستعمرين الجدد ، أي أن يقيم علاقاته الاقتصادية مع الاخرين على قدم المساواة ، فعندما تخرج قيم ما من البلد يجب أن تدخل اليه قيم أخرى تساويها . ثم ان التقدم العلمي يحتاج الى بذل المال ، أي انه يحتاج أيضا الى حماية ادخار القيم الناتجة من أن ينهبها الاستعمار ،

وهو أيضا يحتاج الى الوقت اللازم ، ولا يتمكن البلد المتخلف من الحصول على الملاكات الفنية بين ليلة وضحاها كما انه يتعذر عليه الحصول على هذه الملاكات في زمن قصير ، نظرا لجو التأمر الاستعماري عليه .

الاستعمار لا يساعد المتخلف

ان البلد المتخلف يتمكن من تغطية تخلفه في زمن أقصر عندما يتمكن من الاستفادة من مساعدات البلاد المتطورة صناعيا ، المساعدات التزهية والمقدمة بشروط معقولة . الا أن حكام البلاد الاستعمارية لا يقدمون مثل هذه المساعدات ، لان القضاء على التخلف في العالم يقضي على الفرص التي تمكنهم من اتباع سياسة نهب ثروات الغير ، فعندما تقوم صناعة وطنية ضخمة في السعودية مثلا ، لا يتمكن الاستعمار الاميركي من سرقة بترول هذا البلد الذي يصبح عندئذ في سوية تمكنه من استثمار ثرواته بنفسه . والمستعمرون يفضلون دوما ان يقيموا بأنفسهم المشاريع الاقتصادية في البلاد المتخلفة : المشاريع التي تكون ملكا خاصا بهم ، وعندما يتعذر عليهم هذا فانهم يشاركون في المشاريع الوطنية لهذه البلاد بشروط ملائمة لهم وغير ملائمة للمتخلف . وهم لا يقدمون القروض الا بشروط اقتصادية مجحفة جدا ، والا بشروط سياسية تنتقص من سيادة البلد المستقرض . فاذا اضفنا الى ما سبق اغراقهم اسواق البلاد المتخلفة بانتاجهم الاستهلاكي ، غير المفيد في التطوير الصناعي ، واذا علمنا ان اسعار هذا الانتاج الاستهلاكي تكون مرتفعة جدا بالنسبة الى سعر اليد العاملة في البلد المتخلف ، أي بالنسبة الى منتوجات البلد

المتخلف التي يشتريها الاستعمار بأبخس الاسعار ، نفهم جيدا كيف تخرج القيم الناتجة من العالم المتخلف الى الدول الاستعمارية الحديثة ، وذلك على حساب الادخار لتغطية التخلف :

« ٠٠٠ تقول الصحافة البرازيلية انه كان من الممكن سنة ١٩٢٨ شراء سيارة فورد بعشرين شوالا من القهوة في الولايات المتحدة الاميركية ، أما الان فمن الضروري تصدير ٢٠٠ شوال من القهوة (البرازيلية) الى الولايات المتحدة لشراء مثل هذه السيارة . ان البرازيل اليوم تتسلم سلعا من الولايات المتحدة مقابل صادراتها بمتوسط قدره ٣٧٪ أقل مما كانت تتسلمه في سنوات ١٩٢٥ - ١٩٢٩ ، وكذلك صارت هندوراس سنة ١٩٤٨ تصدر أكثر من ثلاثة أضعاف ما كانت تصدره من الموز للولايات المتحدة في سنة ١٩٣٩ مقابل متر واحد من قماش القطن .

وتكون نتيجة هذه السياسة التجارية اللصوصية بالطبع هي أن تحصل احتكارات الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا والقوى الاستعمارية الاخرى على ارباح طائلة . لقد جنت احتكارات الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩٤٨ وحده ٣٧ مليار دولار كصافي ربح من البلدان المستعمرة والتابعة ، عن طريق بيع السلع بأسعار تفوق قيمتها وشراء غيرها بأسعار تقل عن قيمتها » .

القانون الاقتصادي للرأسمالية الحديثة صفحة ٦٢ .
ترجمة اسماعيل عبد الرحمن . دار الفكر في القاهرة .

ان ٣٧ مليار دولار ، أرباح أميركا الانفة الذكر ، تنشأ كما هو واضح من فرق الاسعار المجحف بين السلع الاميركية وبين سلع البلاد المتخلفة التي تهها أميركا . فيجب أن نضيف الى هذا الرقم ارقاما أخرى بين أرباح الاحتكاريين التي تتضمنها السلعة الاميركية في أميركا ، قبل صديرها الى البلاد المتخلفة . ذلك لان السلعة الاميركية تضمن ربحا للاحتكاري حتى ولو باعها بقيمتها الحقيقية في السوق الاميركية .

العدوان الاستعماري الحديث

ولعل هنالك من يتساءل فيقول : ما دام الامر على هذه الحال ، وما دامت البلاد المتخلفة قد بلغت استقلالها السياسي الذي يمكنها من وضع الاستعمار عند حده ، فلا يتمكن في هذه الايام من شن العدوان عليها واحتلال اراضيها ، فما بال الكثير من هذه البلاد يسمح للمستعمرين بالتدخل في شؤونه فيفرضون عليه قيودهم الاقتصادية ؟ . ان المسألة ليست بهذه البساطة فاذا كان التقدم من مصلحة الغالبية العظمى من سكان البلد المتخلف ، كالفلاح والعامل والحرفي والمثقف والتاجر والصناعي ، فان في هذا البلد تيارات رجعية وتيارات انتهازية يزيد التخلف والجهل وقلة التجارب من شدتها وخطورتها . ثم ان الاستعمار الحديث يقيم سلسلة من الاحلاف العسكرية العدوانية التي تغطي جميع مناطق العالم المتخلف ، كما ان أساطيله وقواعده العسكرية تنشر في كل البحار والامكنة الاستراتيجية من هذا العالم . فبالضغط الخارجي والتهويل بالعدوان ، مع التآمر الداخلي المستمر على الحكم الوطني لبلد متخلف ، قد يصل المستعمرون الى الاطاحة بهذا الحكم . وقد يشهد هؤلاء المستعمرون الحروب الاهلية او النزعات

الأقليمية ، ثم يتدخلون تحت ستار حماية « الشرعية » في البلد المقصود الخ ••

لقد بلونا نحن في سورية الكثير من أنواع التآمر الاستعماري ، وعانينا تدخل المستعمرين في شؤوننا الداخلية ، وتعرضنا لتهديداتهم ، فنحن اذن في وضع ملائم جدا لادراك هذا الامر بوضوح •

ان العالم المتخلف يشكل في استراتيجية الكتلة الاستعمارية وحدة تتوزع على أراضيها مختلف أنواع الثروات • وليس ثمة بلد في هذا العالم لا يثير اهتمام المستعمرين ، مهما كانت قيمة هذا البلد ضئيلة من الناحية الاقتصادية • ذلك لان تحرر بلد متخلف ليس مهما في ذاته بقدر أهميته بالنسبة الى المنطقة التي يوجد فيها هذا البلد ، فتححر سورية مثلا ينعكس دوما على البلاد العربية ويهدد مصالح المستعمرين البترولية في هذه البلاد • ثم ان المستعمرين اذ يشكلون كتلة واحدة تجاه البلاد المتخلفة ، كتلة تخضع لأكبرهم واطغرىهم ، وهو الاستعمار الاميركي ، يتناقضون فيما بينهم تناقضا وحشيا عند تسابقهم لنهب ثروات الشعوب المختلفة •

الاستعمار الاميركي أميركا في طليعة المستعمرين

كان الاستعمار الاميركي يأتي بعد الاستعمارين البريطاني والفرنسي من حيث تصدير رؤوس الاموال قبل عام ١٩١٤ • وفي أواخر الفترة الفاصلة بين الحرب العالميتين اصبح هذا الاستعمار مساويا لبريطانيا في تصدير رؤوس الاموال ، فبلغت استثماراته الخارجية في عام ١٩٣٩ مبلغ ١١ مليار دولار • أما اليوم فان ما تستثمره أميركا خارج حدودها

يبلغ أكثر من ٣٠ مليار دولار . فإذا علمنا أن الدول الاستعمارية القديمة ، إنجلترا وفرنسا وبلجيكا وهولندا . . . لم تقدم في تصدير رؤوس الاموال منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية ، بل تأخرت وحل مكانها الاميركان في كثير من الدول المتأخرة التي كانت مستعمرة أو خاضعة لها قبل عام ١٩٤٥ ، نجد الاستعمار الاميركي يفوق بكثير الدول الاستعمارية مجتمعة في استثمار الشعوب المختلفة .

« لقد أقام احتكاريو الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا وبعض البلدان الاستعمارية الاخرى السكك الحديدية والمؤسسات الصناعية والمناجم في البلدان المستعمرة والتابعة ، كما انهم انشأوا البنوك وشركات التأمين ، وزرعوا القطن والمطاط والشاي والقهوة والكاكاو ، وغرسوا الفاكهة والمحصولات الغذائية والصناعية الاخرى (وذلك لاستغلال قوى الانتاج في تلك البلدان) . هذا بالإضافة الى ان حكومات وبنوك القوى الرأسمالية الرئيسية تمنح البلدان المستعمرة والتابعة اعتمادات باهظة وقروض طويلة الاجل ، لا لشيء الا لتسهم هذه الاعتمادات والقروض في (ضمان النهب الاستعماري لهذه الاحتكارات) .

لقد احدثت الحرب العالمية الثانية تغيرات جذرية في ظروف تلك البلدان التي تصدر رأس المال ، فوقع الجزء الاكبر من استثمارات المانيا واليابان وايطاليا المغلوبة على أمرها في أيدي الرأسماليين الاميركيين بطرق مختلفة . كما

اضطرت بريطانيا وفرنسا ، وهما في ميسيس
الحاجة الى المال لشراء الاسلحة والمواد الحربية
أثناء الحرب ، الى بيع جزء من معاملهما ومصانعهما
في الخارج للاميركيين (٠٠٠)

عن كتاب من القانون الاقتصادي للراسمالية الحديثة ،
الذي سبق ذكره .

اميركا تستثمر أوروبا والعالم الراسمالي

ان رأس المال الاميركي لم يوفر الدول الاوربية المتقدمة . فمنذ
اتهاء الحرب العالمية الثانية وتحت ستار مشروع مارشال للمساعدة تمكن
رأس المال هذا من التسلل الى قطاعات اقتصادية برمتها في المانيا الغربية
وبريطانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولنده واليابان . وقد حققت
الاحتكارات الاميركية بهذا فائدة مزدوجة : فهي من جهة تستثمر التكنيك
الاوروبي واليد العاملة الاوربية الرخيصة بالنسبة الى اليد العاملة
الاميركية ومن وجهة اخرى تتمكن من التسلل الى البلاد المتخلفة تحت
عدد من الألقعة المختلفة ، كالقنصاع الالماني والقنصاع الياباني والقنصاع
الايطالي الخ . .

ان رأس المال الاميركي مثلاً مساهم كبير في الاحتكار الالماني
الشهير كروب منذ عام ١٩٥٢ ، فهو لذلك يساهم في مصنع حلوان للصلب
الذي أقامه الاحتكار الالماني المذكور ويساهم فيه بنسبة عالية . وهناك
امثلة لا حصر لها حول هذا الموضوع . ويكفينا الان أن نعلم ان العائلات
الاميركية الثمان ، التي تدعى «جموعة الكاديلاك» والتي تشرف على

الاقتصاد الاميركي بأجمعه ولا يفلت من رقابها في أميركا أي نشاط اقتصادي مهما كان ضئيلا ، تشرف في الوقت ذاته على عدد ضخم من الاحتكارات والكونسورسيومات الدولية ، التي تضم احتكارات اوربية والتي تشط في القارات الخمس . ان عائلة واحدة من هذه العائلات النمان ، آل روكفلر ، تشرف على كل قطرة بتروول تتبع في العالم الرأسمالي ، وأن نلسون روكفلر هو السيد الأكبر للعصابة الاميركية التي تنهب جزءا ضخما من بتروول العرب .

الصورة السياسية للاقتصاد الاستعماري

ان الاحلاف العسكرية والاشكال السياسية التي تترعها أميركا : الحلف الاطلسي وحلف جنوبي آسيا وحلف البلقان والحلف المركزي وحلف الدول الاميركية ، هذه الاحلاف التي تضم جميع الدول الاستعمارية بدون استثناء مع عدد من الدول المتخلفة التي تسير في ركاب الاستعمار ، هي الصورة السياسية لمواقع الاقتصاد الاستعماري الذي اشرنا اليه قبلا ، أي انها تشكل البناء الفوقي لذلك البناء التحتي الاقتصادي . وصحيح ان هذه الاحلاف تحيط بالدول الاشتراكية ، الا انه أيضا ليس من قبيل المصادفات ان نجد القواعد العسكرية التابعة لها ، وان نجد اساطيلها ، في كل مكان يتضمن ثروة تنهبها دول هذه الاحلاف الاستعمارية وعلى رأسها زعيمتها أميركا . وليس من قبيل الصدفة ان تسلل الاحتكارات الاميركية الى جميع مناطق العالم الرأسمالي ، المتقدمة والمتخلفة ، في الوقف الذي تترع فيه أميركا جميع الاحلاف العدوانية فساهم في هذه الاحلاف بأكبر قسط . ان أية منطقة من مناطق العالم

المرآسماني لا تخلو من التواعد العسكرية الأميركية والاساطيل الاميركية
التي تتردد بالقرب منها •

النهب الاستعماري الحديث رأس المال الوطني يتناقض مع النهب الاستعماري

ان رأس المال الوطني الواعي ، الذي تحميه حكومة تتبع سياسة
اقتصادية وطنية ، يشكل عبءة كبيرة أمام غزو رؤوس الاموال
الاستعمارية • ذلك لان اضطراء النمو لرأس المال هذا يستص القيم
الجديدة المدخرة التي يتبجها أو يساعد على انتاجها العمال والفلاحون
والمستخدمون والمهندسون الخ • • فتضيق لذلك مجالات النهب أمام
رؤوس الاموال الاستعمارية فاذا ما اتبعت سياسة اقتصادية حكيمة ،
فان نمو رأس المال الوطني لا يتوقف ، ويرافقه في ذات الوقت توسع
نشاط رأس المال هذا في جميع القطاعات الاقتصادية بحيث لا يبقى
للاستعمار أي منفذ لممارسة النهب • وعلى العكس فان الادخار يتناقص
أو يذوب تماما عندما تكون هنالك رؤوس أموال اجنبية تمتص القيم
الناتجة وتخرجها من البلد • كما ان التجارة الخارجية المجحضة
تساعد ايضا على اخراج القيم من البلد وضرب الادخار • وعندما
لا يوجد من يوقف هذا النهب الاستعماري نجد ان المشاريع الوطنية
المفيدة تذوب الواحد تلو الآخر ، وتذوب معها رؤوس الاموال الوطنية ،
ويحل في النتيجة الخراب في الاقتصاد الوطني • وعندئذ يتحول الجهاز
الناشيء عن هذا الاقتصاد الاستعماري الى آلة جهنمية لاستغلال جماهير
العبيد الجائعين لصالح الاجانب المستعمرين ، تماما كما يحدث في
أميركا اللاتينية •

الاقتصاد الوطني

ان الاقتصاد الوطني الصحيح يشأ عن كائن اقتصادي متكامل ومسجّم يشبه أي كائن عادي لا يشوهه نقص في الاعضاء • ولكل بلد كائنه الاقتصادي الخاص به : الكائن الذي يتعلق بإمكانيات هذا البلد المادية والثقافية ، ويتعلق أيضا بعلاقاته الاقتصادية الخارجية : فكل أنواع الزراعة الملائمة والمفيدة للبلد ، وكل المشاريع الصناعية والتعدينية الممكنة فيه ، وكل العلاقات التجارية الداخلية والخارجية اللازمة له ، وكل المؤسسات المالية والمصرفية الضرورية الخ •• كل هذه تشكل عناصر كائنه الاقتصادي • ثم ان هذا الكائن الاقتصادي ينمو ويشند بسرعة أو ببطء ، بحسب العوائق التي تعترضه أو النكسات التي نصيبه • وأخطر فترة يمكن ان يمر بها اقتصاد بلد هي فترة البدء في بنائه على أسس حديثة : تحوله من اقتصاد زراعي اقطاعي متأخر الى اقتصاد رأسمالي مثلاً • ففي هذه الفترة يكون البلد متخلفاً بسبب ما خلفه النهب الاستعماري فيه من فقر وجهل فيسهل عندئذ وقوعه فريسة في براثن الاستعمار الحديث • وعندئذ يفعل الاستعمار ما باستطاعته ليمنع السير الطبيعي التقدمي لهذا الاقتصاد وليحوّله الى تابع ذليل لمؤسساته الاستعمارية ؛ وبينما تفترض عودة منافع اقتصاد البلد على البلد ، تعود منافع الاقتصاد التابع ، الى المستعمرين ويعود نكاله على المواطنين • وهذا بالضبط ما حدث لبلاد أميركا اللاتينية التي وقعت فريسة لاحتكارات الولايات المتحدة بعد خروج المستعمرين الاسبان منها مباشرة ، وقبل ان تنفس وتقف على رجلها ، فتعطل تقدمها طيلة هذا القرن ، على

الرغم من غناها ووفرة امكانياتها • وهذا المصير يهدد أيضا كل البلاد المتخلفة التي تخلصت مؤخرا من الاستعمار • وهنا يجب ان لا يفوتنا ان المستعمرين الاميركان تغلفوا في أميركا اللاتينية تحت شعارات الحرية والاستقلال وفي ظروف طرد المستعمرين الاسبان • وهم الان يستعيرون شعارات مشابهة للسيطرة على العالم المتخلف في آسيا وافريقيا •

وفيما يلي سنطفي بعض الامثلة عن النهب الاستعماري الحديث ، وعن كيفية تخريب الاقتصاد الوطني الناشيء ، وعن سيطرة الاقتصاد الاستعماري الاقوى على اقتصاد استعماري أضعف • وهذه الامثلة ليست الا عينة من عدد لا يحصى من نوعها ، الا انها تكفي لايضاح ملامح الطبيعة الوحشية للاستعمار الحديث •

١ - مرض السكر الكوبي

في مطلع هذا القرن احتلت الولايات المتحدة الاميركية جزيرة كوبا وساعدت الثوار الكوبيين على طرد المستعمرين الاسبان • وبعد عدد قليل من السنين خرجت أميركا من هذه الجزيرة ومنحتها الاستقلال • وليس في ظاهر هذا الا ما يستوجب الحمد والشكر (لهذه الدولة العظيمة المحبة للحرية) • الا ان الناظر عن قرب الى هذه القضية يجد أنها تتعلق بالاعمال أكثر بكثير من تعلقها بمكارم الاخلاق • فالاحتكارات الاميركية كانت تنجح السكر بكميات لا تكفي استهلاك بلادها وبأسعار ترتفع كثيرا عن الاسعار العالمية لهذه المادة • ولكي تحمي هذه الاحتكارات أرباحها كانت تضغط على حكومة بلادها لرفع الرسوم على السكر الاجنبي المستورد الذي كان يرتفع بهذا سعره ليصبح

مساويا لسعر السكر الاميركي . الا انه عندما وقعت كوبا تحت الاحتلال الاميركي ، رأت تلك الاحتكارات أن هنالك امكانية أفضل في تمويل السوق الاميركية بكفايتها من تلك المادة ، وذلك دون المساس بأرباحها . لذلك قامت سلطات الاحتلال الاميركية بتشجيع زراعة قصب السكر في كوبا الى أبعد الحدود ، وأقدمت احتكارات السكر الآنفه الذكر على شراء المزارع الواسعة لهذه الغاية . ولقد كانت الاسعار مقرية جدا بادىء الامر في كوبا ، والسبب كما قلنا للاحتفاظ بسوية أسعار الانتاج في الولايات المتحدة .

كان بإمكان الاحتكارات الاميركية مثلا أن تستغل تفاهة اليد العاملة الكوبية فتشتري القصب الكوبي بسعر زهيد . الا أن هذا كان يؤدي الى انقاص أرباح أصحاب مزارع البنجر « الشمندر السكري » في الولايات المتحدة ، عندما تنخفض أسعار بنجرهم مع أسعار القصب الكوبي . أضف الى هذا ، ان احتكارات السكر الاميركية كانت تهدف الى تحويل الاراضي الزراعية في كوبا الى مزارع لزراعة قصب السكر . فرفعت أسعار هذه المادة لأغراء المزارعين الكوبيين على زراعتها . ثم ان السوق الاميركية كانت تبتلع السكر المستخرج من القصب الكوبي والسكر المستخرج من البنجر الاميركي . فارتفع الاسعار لا يضر الا بالمستهلك ، وعندما يمنع استيراد السكر من مناطق العالم الاخرى ، يضطر المستهلك الاميركي الى شراء سكر الاحتكارات (الكوبي والاميركي) ، بالاسعار التي تفرضها هذه الاحتكارات . وهذا ما تم بالفعل .

وقد اجتاحت جزيرة كوبا موجة من الجنون السكري • انلفت
كس زراعة لتحل محلها زراعة السكر ، فحطمت الغابات للحصول
على أراض لزراعة السكر ، ولم تمش برهة قصيرة من الزمن حتى
فقدت هذه الجزيرة كل نشاط اقتصادي تقريبا الا زراعة السكر •
وعندئذ ظهرت امكانيات جديدة للاحتكارات اياها في ابتزاز ارباح كبيرة
تسترد بها ما دفعته من أسعار مرتفعة في القصب الكوبي • فأهل الجزيرة
بحاجة الى أشياء كثيرة أخرى غير قصب السكر الذي يغرق أراضيهم ،
فهم يحتاجون الى الخضار واللحوم والملابس الخ • • • وقد « شهدت »
الاحتكارات الاميركية في نهب مواطنيهم فحصلوا بهذه المشاركة على
مزارعها الاخرى المنتشرة في دول أميركا اللاتينية ، لتسيعها الى الكوبيين
بأسعار باهظة •

ان قصبه السكر تعطي خمسة مواسم دون الحاجة الى تجديد
زراعتها • وهي لا تتطلب عملا كبيرا للعناية بها • وهذا الامر يعني ،
من الناحية الاجتماعية ، ان عمال قصب السكر لا يعملون الا في موسم
فقطع هذا القصب • وقد رأينا ان الاقتصاد الكوبي ضاق الى درجة كبيرة
سبب هذه الزراعة • لذلك كنت تجد الملايين من سكان الجزيرة
البائسة يطوون الأشهر بدون عمل ، بانتظار موسم القصب • وقد بلغ
البؤس بهؤلاء الناس مبلغا لا يوصف •

لقد ناضل الشعب الكوبي طويلا للتخلص من هذه الحالة المحزنة ،
فكان الاستعمار الاميركي يوقعه في دوامة لا تنتهي من الانقلابات
العسكرية وكان يساعد هذا الاستعمار نفسه الكوبيون الذين شاركوا

الاحتكارات الاميركية في نهب مواطنيهم فحصلوا بهذه المشاركة على بعض فئات المائدة • وقد استحال كل اصلاح تحت ضغط هذا الاستعمار ، فكان مجرد التفكير بتسويق الاقتصاد الكوبي ، سواء باقامة مصنع او زراعة أو أي شيء لا يمت الى السكر بصلة أو يخرج عن نطاق سلطة الاحتكارات الاميركية ، يؤدي الى انقلاب ينسف الحكومة او الديكتاتور المتخاذل •

ملاحظة : لقد أخذنا هذه المعلومات عن بحث كتبه الكاتب الفرنسي الشهير جان بول سارتر تحت عنوان ، عاصفة على السكر • ومن الجدير بالذكر ان هذا الكاتب قضى عسره في كرد الشيوعية والشيوعيين ، وهو في كتابه هذا لا ينسى أيضا العز من الحزب الشيوعي الكوبي •

الاخطبوط الاستعماري يلف القارة اللاتينية

ان قصص الدول اللاتينية الاخرى لا تختلف كثيرا عن قصة كوبا ، من حيث تأثير النهب الاستعماري الاميركي على شعوب هذه الدول • فاحتكارات البن واللحوم و الفواكه والبتروال اميركية لا تختلف كثيرا عن احتكارات السكر الأنفة الذكر في معاملتها لشعوب القارة اللاتينية • بل ان جميع هذه الاحتكارات ، بما فيها احتكارات السكر تعود الى جماعة واحدة من الاحتكاريين التابعين في حي الوول ستريت • وليس من انسان على ظهر البسيطة لم يسمع بالانقلابات التي لا تنتهي في هذه البقعة من العالم ، وبالفوضى السياسية التي لا حدود لها والتي سببها الاول والاخير هذا الاستعمار الشرس • والنتيجة ، ان في بلاد الخيرات هذ يموت الانسان من الجوع • ان في الارجتين مثلا مليوناً من الالاجئين

الريفيين يتضورون من الجوع على أرصفة المدن ؛ وفي بلاد اللحوم هذه دفع الجوع بامرأة ، عام ١٩٦٠ ، الى أن تذبح غلاما لتطعم أولادها من لحمه .. أمر فظيع مذهل لا يصدق لولا ان ضجت به صحف العالم بأجمعها (عدا صحف عبد الناصر طبعا) . ومنذ بضعة أيام نجد في الاخبار العالمية ان الفلاحين والعمال في هذا البلد بالذات يتظاهرون مطالبين بالطعام ..

لكن ما هو نصيب أميركا من هذه المصائب وهذا اليأس ؟ ان للاحتكارات التي مر ذكرها أنفاً دولاراً من كل سبعة دولارات من الدخل القومي لشعوب أميركا اللاتينية . والدخل القومي هنا محسوب على أساس دوران العملة وليس على أساس انتاج القيم الحقيقية الجديدة . ففي هذه الحالة ، أي عندما لا تحسب الا القيم الاخيرة ، يصل نصيب تلك الاحتكارات بسهولة الى ربع الدخل القومي المذكور . يضاف الى هذا أيضاً ما تنهيه الدول الاستعمارية الاخرى من هذه القارة التعيسة .

ان كينيدي ، رئيس الولايات المتحدة ، عندما أعلن في الاسبوع الماضي حالة الحصار على كوبا وارسل أساطيله حول هذه الجزيرة لتنفيذ هذا الاعلان ، كان يخشى تحرر الشعب الكوبي ويخشى انعكاس هذا التحرر على بقية الشعوب اللاتينية ، لا القواعد السوفيتية على أرض كوبا . انه يخشى زوال عهد التهب الذي تمارسه احتكارات بلاده في أميركا اللاتينية وفي بقاع العالم الاخرى ، انه يخشى قواعد صواريخه الحربية من ان تنزل على رؤوس اولئك الاحتكاريين الاشقياء المتاجرين بأرواح الناس . لكن هيهات أن يتوقف دوران الارض عند يوم ثابت ،

وسيعصف التاريخ به وباستعماره كما عصف بظلام قبله . وان نصر
الشعب الكوبي قدر .

٢ - ثروات كندا توهي بالاشتراكية للمستعمرين

ان كندا ، المستعمرة البريطانية القديمة ، كانت قد بلغت عند
استقلالها تقدما ملحوظا . فلم يكن لذلك من السهل على الاحتكار
الاميركي ان يتسلل الى اقتصادها ويخضعه عن طريق مشاركة رؤوس
الاموال الخاصة او عن طريق اقامة مشاريع جديدة . ان الرأسماليين
انكنديين كانوا لا ينظرون بعين الرضى الى هذا الجار الجشع الذي يريد
مزاحمتهم في عقر دارهم . ففتنق ذهن الاستعمار الاميركي عن حيلة
التأميم وتوسيع القطاع الاقتصادي العام ، واتجه لذلك الى استعمال زمرة
من الانتهازيين ادعياء الاشتراكية في هذا البلد ودفع بهم الى الحكم .
وقد قام هؤلاء الاعوان تحت ستار الاقتصاد « الشعبي » و « الاشتراكية »
بتأميم عدد كبير من المشاريع وتوسيع القطاع العام حتى أصبح هذا القطاع
يعطي معظم النشاطات الهامة للاقتصاد الكندي ، الامر الذي يعني أيضا
ان هذا القطاع أصبح يتحكم تماما باقتصاد كندا . وكل هذا حسن لولا
ان هذا القطاع العام « الشعبي الاشتراكي » وقع فريسة للمساهمة
الاحتكارية للولايات المتحدة . اذ ان الاحتكارات الاميركية تساهم بنسب
كبيرة في جميع مشاريع ذلك القطاع العام ، الامر الذي يعطي هذه
الاحتكارات امكانية الاشراف على مجمل اقتصاد كندا ، وبالتالي امكانية
سخير هذا الاقتصاد كلياً لمصالحها .

ان هذه التجربة ، والحق يقال ، فريدة في نوعها ، وهي تسجل

اسلوبا مدهشنا للنهب الاستعماري . فالتأميم سهل عمل الاحتكار الاميركي الى ابعد حد ، ففي هذه الحالة لا يحتاج هذا الاحتكار الى بذل أي مجهود كبير في اقتناع عدد ضخم من الناس ورشوتهم ليسمحوا له بمشاركتهم في أعمالهم ، بل تكفيه حكومة كندية طيبة ويكفيه وزير اقتصاد كندي طبع لتيسير أعماله . ومن الواضح أن الحصول على مثل هذه الحكومة لا يشكل صعوبة كبيرة بعد أن يقع اقتصاد البلد في براثن المستعمر .

ومن هنا نفهم جيدا خطورة الخطوات التي خطاها عبد الناصر في طريق تسليم مصر الى الاحتكاريين الاميركان . فهو قد أصدر منذ مدة طويلة قانونا يسمح بموجبه لرأس المال الاجنبي بالمساهمة في مشاريع القطاع العام بنسب يمكن ان تبلغ ٥١٪ . والقانون المصري هذا يسمح أيضا باخراج ارباح الاحتكارات الاستعمارية المساهمة في القطاع العام وفي غيره من القطاعات الخاصة بالقطع النادر ، ونقل الارباح الى بلد الاحتكار . ثم ان عبد الناصر وسع القطاع العام بتأميم الكثير من المؤسسات الصناعية الوطنية التي لا يساهم فيها الا المال المصري واصبحت الآن تحت رحمة رؤوس الاموال والقروض الاستعمارية التي تنهال على مصر في هذه الايام . يضاف الى هذا قبول عبد الناصر مؤخرا بالاشراف الاميركي على اقتصاده . ان مأساة كندا تتكرر في وادي النيل تحت شعار « الاشتراكية » .

٣ - مشروع مارشال للمساعدة

عندما كانت القنابل تنهال على مدن أوروبا في الحرب العالمية الأخيرة ،

وعندما كان لهيب هذه الحرب يأتي على اقتصاد الدول الأوروبية وعلى علاقاتها التجارية في العالم ، كانت الاحتكارات الأميركية تفرك اليدين سرورا بالفرصة الذهبية للسيطرة على العالم ونهبه . لذلك لم تكذب تلك الحرب تضع أوزارها حتى طلعت أميركا على العالم بمشروع مارشال . وكان ظاهر هذا المشروع مساعدة الدول الأوروبية على ترميم اقتصادها الذي خربته الحرب ، أما غايته الحقيقية ، وقد ظهرت بنتيجة التطبيق ، فكانت إخضاع الاقتصاد الأوروبي نهائيا للاحتكار الأميركي ، والحلول مكان الدول الاستعمارية القديمة في الكثير من أسواق البلاد المتخلفة وفي نهب ثروات هذه البلاد .

ان النقطة الهامة في هذا المشروع كانت فرض الرقابة الاقتصادية والمالية الأميركية على الدولة التي تقبل به . وكان بإمكان الاحتكارات والشركات الأوروبية الخاصة ان تدخل مباشرة في نطاق هذا المشروع ، دون توسط حكوماتها ، فتخضع للإشراف الأميركي المباشر . أو للرقابة الأنفة المذكور . فقد كانت توجد في فرنسا مثلا دائرة أميركية ضخمة تضم آلاف الموظفين الذين يراقبون الكبيرة والصغيرة في بناء اقتصاد هذا البلد . لقد كانت ، والحق يقال ، فرصة العمر بالنسبة للاحتكار الأميركي . فكان باستطاعة جهاز مارشال :

- أن يتجسسن على اقتصاد أوروبا الرأسمالية .

- ان يعرقل قيام أي مشروع اقتصادي في أوروبا لا يتلاءم مع مصالح الاقتصاد الأميركي ، لأن الأوروبي كان يفتقر في أعقاب الحرب الى رأس المال ، فاذا رغب بالاستعانة بأموال مشروع مارشال في إقامة

مؤسسة أو شركة أو مصنع وجب عليه بطبيعة الحال ، وبحسب شروط
مارشال ، ان ينال الموافقة المسبقة من المراجع الاميركية .

— أن يسهل على الاحتكارات الاميركية أمر المساهمة في المشاريع
الاوروبية الدسمة . وبالفعل تضاعفت التوظيفات الاميركية الخاصة في
اوروبا الرأسمالية بفضل هذا المشروع .

وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن أموال المساعدة في هذا المشروع تأتي
من الخزينة الاميركية ، أي من الشعب الاميركي الذي يمول هذه
الخزينة بالضرائب التي يدفعها . أما فوائد هذا المشروع فتعود مباشرة
الى جيوب الاحتكارات الاميركية بتسهيل اعمالها هناك ، فان على كل
أوروبي يستفيد من أموال المشروع لاقامة مؤسسة ما ان يشتري جميع
تجهيزات هذه المؤسسة من أميركا ، بأموال المشروع وبأمواله التي يمكن
أن يضعها في الاستثمار في المؤسسة فتعود اذن أموال مارشال مع أموال
الاوربيين الى جيوب الاحتكاريين الاميركان . ان هذا يعني أن الشعب
الاميركي الذي يمول الخزينة الاميركية : دافعة مساعدات مارشال ،
والشعوب الاخرى التي تبني اقتصادها الذي خربته الحرب ، كل هذه
الشعوب ، تدفع أرباحا خيالية بلعبة مارشال الى الاحتكاريين
الاستعماريين الاميركان .

وأخيرا يجب ان لا ننسى أن هذا المشروع كان نقطة الانطلاق
في بناء الحلف الاطلسي الاستعماري بزعامة أميركا . هذا الحلف
الذي قتل أسلحته وجنوده مليون جزائري ، والذي هددت قواته
سرقنا العربي مرارا وتكرارا .

تشكل المساعدات العسكرية الاميركية موردا ضخما لتجارت الاسلحة الاحتكاريين في الولايات المتحدة الاميركية . ذلك لان الدولة التي تقبل بهذه المساعدات مضطرة ، بموجب شروطها ان تشتري من اميركا اسلحة جيشها ، بعد ان ترصد في ميزانيتها لشؤون الدفاع اضعاف المبالغ التي تتاولها من المساعدات المذكورة . فكريا مثلا مضطرة ، بحكم مسايرتها للسياسة الاستعمارية الاميركية ، لان تحتفظ بنصف مليون جندي تحت السلاح في ايام السلم . وهي تصرف على التسليح من ميزانيتها مقدار دولارين مقابل كل دولار مساعدة تتاوله من اميركا . ويبلغ ما ترصد لجيشها من الميزانية العامة ، ما يزيد على ٦٠٪ من هذه الميزانية . وبموجب شروط المساعدة يجب عليها ان تشتري كل ما يحتاج اليه جيشها من اسلحة وعتاد وتجهيزات من الولايات المتحدة . أي ان ما تأخذه من مساعدات يعود مع جزء من ميزانيتها الى جيوب الاحتكاريين الاميركان تجر الاسلحة . وهنا يجب ان نلاحظ ان دافع الضرائب في اميركا هو الذي يمول الخزينة التي تدفع المساعدات ، وان دافع الضرائب في تركيا هو الذي يمول ميزانية الجيش ، بينما يقبض الاحتكاريون الاميركان ثمن الاسلحة من أموال المساعدات ومن ميزانية تركيا . يضاف الى ذلك ان هذه الدولة مضطرة لان تقبل ألوف الفنين الاميركان في جيشها ، ولان تسمح باقامة القواعد العسكرية الاميركية على اراضيها . وهؤلاء الفنون لا يتوقفون عند حد التدريب العسكري ، بل يتدخلون في الكبيرة والصغيرة ويطلعون

على جميع الاسرار المفيدة لحكومتهم • يضاف الى هذا ، أن خبرة
الفنيين لا تنحصر في النواحي الفنية ، بل تتعداها الى أعمال السلب
والتهريب وغيره • ان المحكمة العسكرية التركية في أزمير لا تجد
متسعا من الوقت لرؤية مئات القضايا الجنائية المرفوعة اليها ضد
أولئك « الفنيين » •

ولدينا مثل آخر على هذه المساعدات • انه من بلد عربي • فقد
لقى نوري السعيد في ٢٢ / ٦ / ١٩٥٧ خطابا في مجلس النواب
في بغداد ، فقال :

« ... لقد تأخر برنامج الاعمار بسبب
اضطرارنا لاملأ التزاماتنا الناشئة عن قبولنا
للمساعدات العسكرية الاميركية ... »

ان هذه العبارة ، من فم نوري السعيد ، كافية لشرح طبيعة
المساعدات الاميركية المزعومة • فأموال الاعمار الضرورية لمشاريع
الشعب العراقي المتخلف ، كانت ترافق اموال المساعدات لتذهب الى
جيوب الاحتكاريين الاميركان •

يقول الاقتصاديون الاميركان ان سعر الجندي الاجنبي أرخص
بكثير من سعر الجندي الاميركي ، فمن مصلحة أميركا ان تساعد على
بعث الروح العسكرية في البلاد التي تقبل الارتباط بها • ونحن نرى
ان الجندي الاجنبي ليس رخيصا فحسب ، بل هو مصدر أرباح كبيرة
لهؤلاء السادة الاستعماريين : انهم يقاتلون بدمه ويسلبون أموال شعبه
بحجته • وكل منا يعلم النتائج الوخيمة التي حلت بالشعوب التي رضيت

حكوماتها بمسايرة سياسة أميركا وقبلت المساعدات الاميركية ، العسكرية منها وغير العسكرية ، فالاقتصاد التركي مثلا في أزمة مزمنة ، والمليرة التركية التي كانت تعادل ليرة سورية وربع لا تساوي الآن ربع المليرة السورية . ان عبقرية حكام هذا البلد التعيس ، التي تفتق عن تغطية المنشآت العسكرية تحت قناع « الاجراءات الاجتماعية » ، لخدمة ما أرب الاستعمار الاميركي ، تتعطل تماما أمام مسألة التعليم . فقد نشرت الصحف مؤخرا بمناسبة افتتاح المدارس لعام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، ان في تركيا أكثر من مليون طفل لا يجدون مدرسة لهم في هذا العام ، وهناك نقص في المدارس الابتدائية يبلغ ١٥٤٧٧ مدرسة ، وتبلغ نسبة الامية في هذا البلد ٦١٪ كما يوجد فيه أكثر من ١٦ مليون أمي .

أما في ايران ، البلد الآخر الذي « ينعم » بالمساعدات الاميركية ولا ينعم بتروله الذي يسرقه المستعمرون ، فان الناس فيه يتساقطون بالآلاف من الجوع .

٥ - أنواع أخرى من المساعدات الاميركية

في عهد الشيشكلي ذهب مندوب سورية الى بيروت ليحضر اجتماع مؤسسة غوث اللاجئيين الفلسطينيين . وفي تلك الاثناء ، أي في خريف عام ١٩٥٣ ، كانت سورية تلاقى صعوبات كبيرة في تصريف محصول الحنطة . وقد تلقى المندوب السوري المذكور تعليمات الحكومة السورية كي يبذل كل ما باستطاعته لشسري مؤسسة الغوث حاجتها من الدقيق من سورية . لقد كانت حجتنا وجهة : ان المنطقي أن تحصل المؤسسة المذكورة على ما تحتاج اليه من أغذية اللاجئيين من البلد الذي

يعيش فيه هؤلاء . وعندما عرض مندوبنا هذا الامر في الاجتماع الآنف الذكر رفضه المندوب الاميركي بفظاظة وهدد بقوله ان حكومته مستعدة لتقطع مساهمتها في تمويل مؤسسة الغوث فيما اذا جربت هذه المؤسسة عدم شراء الاغذية من أميركا . وعندما قال المندوب السوري ان المقدار المطلوب شراؤه من حنطتنا لا يتجاوز بضعة آلاف من الاطنان ، وهو مقدار لا يشكل شيئا من الانتاج الاميركي ، بينما يشكل نسبة محسوسة من انتاجنا من هذه المادة ، أجاب المندوب الاميركي ، ان أميركا تهتم بتصريف كل حبة تثبت في بلادها .

لقد كان حكم الشيشكلي حكما خانعا للامير كان كما هو معلوم ، وأميركا هي القوة الاساسية في العالم في دعم بقاء الصهيونية في فلسطين وفي دعم بقاء اللاجئيين في بؤسهم مشردين عن وطنهم . ومع ذلك يضمن هؤلاء الاميركان علينا بيع متوجاتنا الزراعية الى وكالة الغوث . صحيح ان الولايات المتحدة الاميركية تساهم بأكبر نصيب في تمويل هذه الوكالة ، الا أن هنالك دولا أخرى في الامم المتحدة تساهم أيضا في هذا التمويل . وعندما تجبر الوكالة على صرف معظم أموالها في الولايات المتحدة نرى أن المستفيد الوحيد من بؤس وتشرذم اللاجئيين هو محتكر الاغذية الاميركي اذ تدفع الحكومة الاميركية من أموال الشعب الاميركي مساعدتها الى وكالة الغوث ، وتدفع حكومات أخرى من أموال شعوبها مساعدتها الى هذه الوكالة ، ثم ان معظم ما يتجمع من أموال هذه المساعدات يذهب الى احتكارات الاغذية في أميركا .

اوتوستراد الخليج العربي

وقد وقع حادث آخر في زمن قريب من زمن القصة الآنفه الذكر .

وملخص هذا الحادث ، ان مندوبي الدول العربية اجتمعوا في القاهرة بدعوة من الامانة العامة للجامعة العربية ، وكان هذا في زمن حكومة الاستاذ سعيد الغزي التي أتت بعد طرد الشيشكلي من سورية . وكان موضوع البحث عرضا أميركيا بانشاء اوتوستراد يخرج من الخليج العربي ويتجه نحو منطقة الجزيرة السورية . وكان يجب أن يتفرع عن هذا الاوتوستراد ثلاثة فروع : فرع يذهب باتجاه لبنان وينتهي بجونية ، وآخر يذهب من جوار حلب باتجاه ميناء اسكندرون ، وثالث يذهب باتجاه الموصل - كركوك . ومن هذا يتضح تماما أن الاغراض السلمية بعيدة جدا عن هذا المشروع :

فلا ميركا قاعدة عسكرية بحرية في اسكندرون ، وهي تطمح دوما الى أن تقيم قاعدة بحرية لها في خليج جونية الهادي ، قرب بيروت .
- والخليج العربي هو منطقة يتابع البترول المستثمر في الشرق الاوسط : بترول السعودية ، والكويت ، والبصرة ، وعبدان والمنطقة الحرة .

- وفي الجزيرة ، حيث ينتهي الاوتوستراد ، يوجد البترول السوري .

- والفرع الثالث للاوتوستراد ينتهي الى منطقة العراق في كركوك .

أي أن الاوتوستراد العتيد ، ما هو في الواقع الا شريان يصل جميع مناطق بترول الشرق الاوسط بقاعدتين عسكريتين أميركيتين ، في اسكندرون وجونية : لبنان ، وهو بالاضافة الى هذا يشكل مطارا

جبارا يغطي منطقتنا بأسرها (يمكن استقبال جميع أنواع الطائرات
على الأوتوستراد) .

كان العرض الأميركي لبناء هذا الأوتوستراد يتلخص بدفع
الولايات المتحدة ثلث تكاليف المشروع البالغة ٦٠٠ مليون دولار ، على
أن تدفع سورية ولبنان والاردن والعراق الثلثين الباقين (٢٠٠ مليون
دولار تدفعها أميركا و ٤٠٠ مليون دولار تدفعها البلاد العربية
المذكورة) . وكان على الدول العربية الأنفة الذكر أن تقوم بصيانة
هذا الطريق بعد انشائه ، الامر الذي يكلف العرب على الدوام مصاريف
باهظة . ثم ان الولايات المتحدة هي التي تنفذ المشروع بواسطة
شركات الانشاءات الاميركية . وهذا يعني بكل بساطة ان ال ٢٠٠
مليون دولار التي تدفعها الخزينة الاميركية تعود الى جيوب احتكاريي
أميركا ، مع ٤٠٠ مليون دولار تدفعها الشعوب العربية الاربعة . وهذه
الشعوب التي كان عليها دفع مبلغ يعادل في تلك الايام مجموع موازنتها ،
لفتح طريق في صحار خالية ليست لها فيه أية فائدة ، بحاجة الى كل
فرش من هذا المبلغ الضخم لتعليم ابنائها ولبناء اقتصادها الوطني أما
أميركا فلا تحصل مجانا فقط على طريق حربي ضخم وعلى مطار
استراتيجي هائل وعلى قاعدة انطلاق جبارة لنهب ثروات البلاد العربية ،
بل ان العرب يدفعون لها أيضا ٤٠٠ مليون دولار . فمن هو الذي
يقدم المساعدة الى الآخر نحن أم الأميركيان ؟ .

ويجدر بنا أن نذكر أن مندوب العراق ومندوب الاردن لم يكونا
متحمسين في الاجتماع الأنف الذكر ، لمشروع الأوتوستراد ، الامر

الذي يعني عدم حماس بريطانيا له ويبين بالتالي التناقض الاستعماري البريطاني الاميركي • فأمر كما كانت وما زالت تلمظ لمنظر ما يصيب سريكتها انجلترة من نهب بترول العرب ، وتتمنى لو انها تنفرد لوحدها بوضع اليد على هذه الثروة البترولية الهائلة • ان طعم النصر الذي حققته في ايران « بتسليح » الشريكة حصتها ، يتجدد أبدا مع كل برميل ينبع في عبادان من الذهب الاسود •

ملاحظة : كان حماس المندوب المصري لقبول مشروع الاوتوستراد كبيرا جدا ، في اجتماع المندوبين العرب في الجامعة العربية • والمراء يتعجب كثيرا في تلك الايام من حماس بلد كمصر لهذا المشروع الذي يبعد كثيرا عن أراضيها • الا ان العجب يزول عندما نعلم أن عبد الناصر كان قد صفى اللواء نجيب في ذلك الوقت ، وأقام حكمه الديكتاتوري الخانع للمشاريع الاميركية في البلاد العربية • ونحن نعلم الآن أن عبد الناصر كان يضغط في تلك الايام بالذات ، أيام حكومة الغزي المذكورة ، على الدول العربية المجاورة لاسرائيل لتقبل هذه الدول مشروع جونستون الاميركي - الاسرائيلي • وقد رفضت سورية مشروع الاوتوستراد كما رفضت مشروع جونستون •

٦ - بترول العرب

ان نصف احتياطي البترول في العالم مدفون في الارض العربية • يضاف الى هذا أن تكاليف استخراج البرميل الواحد في البلاد العربية لا تتجاوز ١٠ سنتات ، بينما تبلغ هذه التكاليف ٧٨ سنتا في الولايات

المتحدة و ٤٣ سناً في أميركا اللاتينية • وقد بلغ متوسط انتاج البئر
الواحدة كل يوم :

- ٤٠٠٠ برميل في المنطقة العربية •
- ٢٣٠ برميلا في فنزويلا •
- ١١ برميلا في الولايات المتحدة الاميركية •

(انظر بترول العرب لمجهود الشرقاوي)

حاولت إنجلترا ، بعد الحرب العالمية الاولى ، ان تقسم بترول
منطقة الشرق الاوسط مع كل من فرنسا وهولندا ، على أن يكون لها
حصّة الاسد ، وان تبعد الولايات المتحدة الاميركية ، المنافس الخطر ،
عن هذه الشركة • فبموجب اتفاقية سان ريمو المعقودة في ٢٤ نيسان
١٩٢٠ ، استولت فرنسا على حصّة ألمانيا ، المهزومة في الحرب العالمية
الاولى ، من شركة نفط العراق (شركة البترول التركية سابقا) ،
وتقدر هذه الحصّة بمقدار ٢٥٪ من مجموع الاسهم • بينما بقيت معظم
الاسهم الباقية ملكا لبريطانيا ، وأخذت هولندا حصّة لائقة • وقد
احتجت الولايات المتحدة بعنف على هذه « الانانية » المفرطة من جانب
حلفائها ، وعلى رأسهم إنجلترا ، اذ لم يترك لها هؤلاء الحلفاء أية
حصّة من الغنيمة الدسمة • ومع أن أميركا لم تكن ، في تلك الظروف ،
خروف ما بعد الحرب العالمية الاولى ، من القوة العسكرية بالقدر
الذي يفرض « هيبتها على آلهة الحرب الفرنسيين والانجليز » ، ولتحتل
المكان الاول مكان بريطانيا ، في النهب الاستعماري للمنطقة العربية ،
فان بريطانيا هذه قبلت تحت ضغط الدولار أن تتنازل لها في النهاية عن

جزء من حصتها • وتمضي الايام ، ويظهر معها تصدع الجملة
الاستعمارية القديمة ، ويزداد تسلل الاحتكارات الاميركية البترولية
في مناطق الشرق الاوسط ، في السعودية والبحرين والكويت وتركيا •
ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها ، حتى بتنا نرى أن أميركا
تأتي في الطليعة مع بريطانيا في نهب البترول العربي والايرواني • وفي
هذا الوقت أصبحت الولايات المتحدة الاميركية أول دولة عسكرية
في العالم الرأسمالي وزعيمة هذا العالم ورائدته • لذلك أصبحت
وسائلها في الصراع الوحشي مع غريمها بريطانيا على نهب ثروات الشرق
الاوسط تختلف كثيرا عما كانت عليه في عام ١٩٢٠ • انها تطمح الآن ،
بعد أن « شلحت » بريطانيا بترول عبدان ، لان تضع يدها على بترول
الجزائر ، ولان تستقل دون المستعمرين الاخرين بمعظم البترول
العربي ، ان لم نقل كله •

كتب المستر هارولد اكس ، رئيس هيئة احتياطات البترول
الاميركية ، في « المجلة الاميركية » :

« •• اذا كان علينا أن نحافظ على
حضارتنا (الحضارة هنا تعني الازباج
الاسطورية) على أساس البترول فواجب علينا
أن نكون على استعداد للسير نحو المناطق التي
يتوافر فيها البترول ••

ان عاصمة البترول تتجه نحو الشرق ،
وخير للولايات المتحدة أن تسرع بالدخول في
هذه الامبراطورية • وحتى يتسنى لها ادراك

هذه الغاية يتعين عليها أن ترسم لنفسها سياسة
بصدد مسائل البترول » •

ويقول المستر برتون ، عضو مجلس الشيوخ الاميركي :

« ان الشرق الاوسط وافريقية ، ميدان
ثابت وطيد لسياسة انشائية حازمة من جانب
الولايات المتحدة » •

ان ٧٠٪ من احتياجات بريطانيا البترولية تسد من بترول الشرق
الايوسط • وتبلغ أرباح الاحتكارات الانجليزية من بترول منطقة
الخليج العربي فقط مبلغ ٦٠٠ مليون دولار سنويا • أما الشركات
الاميركية فقد اعترفت بأرباح من بترول منطقة الشرق الاوسط ، في
الفترة المتقضية بين تأسيس اسرائيل عام ١٩٤٨ وبين عام ١٩٥٨ ،
بلغت ١٠ مليارات دولار • وتتجاوز هذه الأرباح حاليا المليار دولار
سنويا بينما يبلغ مجموع ما تنهيه الاحتكارات الاستعمارية الاميركية
من القارة الافريقية كلها ٤٥٠ مليون دولار سنويا ، أي أقل من نصف
أرباح بترولنا المنهوب • أما ما تناوله اسرائيل من مختلف المساعدات
الاميركية والالمانية الغربية فيبلغ في المتوسط ٢٠٠ مليون دولار سنويا •
الا أن هذه المبالغ لا يدفعها روكفلر ، الذي تستولي شركاته على أرباح
تتجاوز المليار دولار سنويا من بترولنا ، بل تدفعها الخزينة الاميركية
والخزينة الالمانية الغربية • أي أن هذا الاجير الذي هو اسرائيل ،
والذي يساعده الاستعمار الاميركي على البقاء بكل وسيلة ليؤخرنا عن
بناء بلادنا ويضعنا في الظاهر كلما رغب الاستعمار بذلك وكلما اقتربنا

من الحصول على حقوقها منه ، أجبر نشيط ومجاني بالنسبة لآل روكفلر ،
وبالنسبة للسياسة الاستعمارية في المنطقة •

وعندما سدت قناة السويس ، ونسفت أنابيب البترول المارة في
سورية ، أثر العدوان الاستعماري على قناة السويس ، كادت تتوقف
الحركة في أوروبا الغربية ، التي عادت الى القرن التاسع عشر في أساليب
الحصول على القوة الحرارية • فالصناعة الحديثة لا تتمكن من الوقوف
على رجليها وتصاب بالشلل التام عندما تحرم من البترول • لذلك كان
احتكار هذه المادة موضع صراع وحشي بين الدول الاستعمارية : ان
من يحلم باحتكار البترول بمفرده في العالم ، يفسر حلمه برغبة متأصلة
في نفسه لسيط نفوذ لا حدود له على الصناعة الرأسمالية • فلو ان
أميركا مثلا تمكنت من تشليح انجلترا حصصها من بترول العرب ،
كما فعلت بها في ايران ، لاصبحت هذه اكثر طواعية وخضوعا لها •
نم ان الفرنسيين الواقعين تحت رحمة أميركا وانجلترا في سد حاجاتهم
من البترول يرجون الكثير من بترول الجزائر • الا أن الأميركيين
يضعون أنوفهم أثرهم أيضا في هذه المنطقة ، وهم يرجون حرمانهم من
تحقيق هذه الأحلام السعيدة •

عبد الناصر يفتح خليج العقبة للبترول الأميركي

ان موافقة عبد الناصر على فتح خليج العقبة للتجارة الاسرائيلية لها
نتائجها أيضا على تطور قضايا البترول في المنطقة • فقد مددت شركات
روتشيلد ، ذات العلاقات الوثيقة جدا باحتكارات البترول الأميركية ،
خطا للأنابيب من ميناء ايلات الاسرائيلي على العقبة الى ميناء اسدود

الاسرائيلي على البحر المتوسط . فأصبح بإمكان الناقلات الاميركية الضخمة من حمولة ٩٠ الف طن ، الناقلات التي لا تستطيع حاليا أن تمر عبر قناة السويس ، لأن ارتفاع غاطسها ، أو الجزء الغاطس منها تحت الماء ، كبير على عمق القناة ، نقول أصبح بإمكان هذه الناقلات أن تفرغ بترولها في ايلات لينقل هذا البترول عبر الانابيب الآفنة الذكر الى ناقلات أخرى في البحر الابيض المتوسط .

وقد يظن البعض ان هذا العمل مزاحمة لقناة السويس التي يشكل وارد مرور ناقلات الزيت عبرها ٩٠٪ من وارداتها السنوية . ان هذا صحيح في حالة وجود حكم معاد للاستعمار الاميركي في مصر . ففي هذه الحالة تصبح أنابيب روتشيلد الاسرائيلية وسيلة ضغط اقتصادي على مصر ، بالإضافة الى الجيش الاسرائيلي الذي هو وسيلة ضغط عسكري . الا أن السياسة البترولية الاستعمارية تتجه نحو استنزاف أكبر كمية من البترول العربي في السنوات القريبة ، ذلك لان الاستعمار يخشى حركة التحرر في هذه المنطقة ويخشى بالتالي عودة البترول الى أصحابه . أضف الى هذا أن التقدم الصناعي الهائل يتطلب أكثر فأكثر استعمال الاستطاعة الحرارية البترولية ، أي أن هنالك امكانات كبيرة لتحقيق المزيد من الارباح الخيالية لاحتكارات البترول . فاذا لم يكن هنالك حكم معاد للاستعمار في مصر ، فإن من مصلحة تلك الاحتكارات أن تستعمل أنابيب روتشيلد وقناة السويس معا في نضح بترول الشرق الأوسط . وحكم عبد الناصر ليس معاديا للاستعمار الاميركي .

جملة الاستعمار الحديث وتناقضاتها

أمريكا وجه الاستعمار الحديث

يمثل الاستعمار الأميركي الوجه الصحيح للاستعمار الحديث • وان الأمثلة السابقة لا تكفي في الواقع لاعطاء الفكرة الكاملة عن وحشية وشراسة هذا الاستعمار ، ولا تكفي لتعريف طبيعته تعريفا دقيقا ، وان أعطت لمحات ذات دلالة كبيرة عن هذه الطبيعة • ولو أن البحث الذي نحن في صدده يقتصر فقط على هذا الاستعمار ، لكان علينا ان نكتب الكثير والكثير عنه • ثم ان الدول الاستعمارية الاخرى ليست بريئة من الصفة الاستعمارية الحديثة ، من الطراز الأميركي : الاعتراف بالاستقلال سياسيا وسلبه اقتصاديا ، أو الاعتراف بالاستقلال شكليا وسلبه عمليا بايصال العملاء الى الحكم ومساندتهم • وهذا أمر طبيعي ، لان جميع المستعمرات القديمة قد استقلت أو هي في طريقها الى الاستقلال ، وسوف لا يبقى بلد محروم من استقلاله السياسي ، فلا بد للمستعمرين القدماء ، من أن يغيروا جلودهم ليسا يروا تطورات العصر مع ضمان استمرار نههم للبلاد المتخلفة ، أي لا بد لهم من ان يتزبوا بزري الاستعمار الحديث • الا أن هذه الدول القديمة لا تزال واقعة تحت تأثير قوي جدا لعقليات استعمارية قديمة بالية : عقلية الاعتماد على الفئات المفضوحة جدا من سكان البلاد المتخلفة لابقاء النفوذ الاستعماري في هذه البلاد ، مع مسلك غير مرن للمستعمرين يستند الى التقليد البالي أكثر مما يستند الى الواقع • أضف الى هذا أن التطور التاريخي لم يترك لهؤلاء المستعمرين المهلة الكافية ولا القدرة الكافية لاقامة كل ما يلزم من الترتيبات المادية الضرورية لممارسة سياسة استعمارية جديدة •

ان الاستعمار الاميركي ، على عكس ما يتصوره البسطاء من الناس ، هو من أشد أنواع الاستعمار دهاء ولؤما ، بالمقارنة مع المستعمرين الآخرين ، كالانجليز والفرنسيين والالمانيين الغربيين والهولنديين وغيرهم ، على ما يتصف به هؤلاء من مكر ولؤم كبيرين . فهو يخصص المبالغ الطائلة على جملة متماسكة من المؤسسات التي تقوم بمختلف الدراسات العلمية في الاقتصاد والسياسة وعلم النفس والدعاية والتجسس والتخريب الخ . . . ونحن لا نبالغ أبدا اذا قلنا أن ما تصرفه الولايات المتحدة الاميركية على الحرب الباردة الاستعمارية ، الحرب الموجهة الى البلاد المتخلفة لنهبها بحجة مقاومة العسكر الاشتراكي ، يتجاوز بكثير ربع ميزانية جيشها التي تبلغ سنويا مقدار ٥٠ مليار دولار . ولا نبالغ اذا قلنا ان المؤسسات المختصة في الولايات المتحدة تملك معلومات تامة وجديدة عن كل بلد في العالم الرأسمالي ، المتقدم والمتخلف . وتصل هذه المعلومات الى درجة السؤال عن الاشخاص الثانويين الذين يمكن أن يكون لهم شأن ، ولو صغير ، في حكومة بلدهم : ان ضابط شرطة صغير مثلا ، في بلد متخلف او متقدم ، له شأن في المخطط العام الاستعماري الاميركي ، شأن ايجابي أو سلبي ، لا فرق . وليس من العجيب مثلا ان تجد السفارة الاميركية في بلد صغير تعج بمئات الموظفين تحت مختلف الاسماء والتعوت ، وهم في الواقع لا يعملون الا في جمع المعلومات عن البلد الذين هم فيه ، ثم رفع هذه المعلومات الى مراجعهم في المنطقة ، التي تتصل بدورها ، اذا لزم الامر ، بالمراجع العليا في واشنطن ، بتلك المؤسسات الرئيسية الانفة الذكر ، المؤسسات التي تقوم بتحليل كل ما

يردها ثم باصدار ردود الفعل اللازمة • وعلى العكس فإن لكل من هؤلاء الموظفين في السفارات (أو غيرها من المؤسسات الاميركية كمؤسسة النقطة الرابعة ، أو من مؤسسات المساعدة الاميركية) دور في التأمر على سلامة البلد الذي هو فيه ، عندما تكون حكومة هذا الاخير غير طيبة لهم ، أو لدعم السلطات القائمة ، عندما تكون هذه طيبة •

يقول وليم ج • ليديرر ، في كتابه « أمة من خراف » في معرض شكواه من تقصير جواسيس دولته المنتشرين في فرموزة :

« ••• اننا أنا وأنت لا ندرك حركة الاضطراب التي جرت في فرموزة في هذه الصورة أو تلك • ولكن لنا مئات الموظفين الاميركيين ممن يعيشون في تلك الجزيرة • فوظيفة هؤلاء الاساسية أن يعرفوا ما يجري حولهم • ووكالة الصحافة المتحدة الاستشيتدبرس عندها مراسل ضليع في مهمته ، موجود في فرموزة على مقربة من جميع الاحداث ، وهو الى ذلك مكلف باطلاع الولايات المتحدة الاميركية على كل ما يجري •• »

ان الاستعماريين القداماء (الذين يحاولون اليوم أن يتزويوا بزي الاستعمار الحديث ، بعد فقدهم مستعمراتهم بنتيجة نضال الشعوب وتطور العصر) ، بالنسبة الى الاميركان ، كأهل الحرفة في القرون الوسطى بالنسبة الى رأسماليي هذا العصر • انهم يعتمدون على ما لديهم من تقليد وتجربة ، ولا يملكون كل تلك المؤسسات التي تقدم للاستعمار الاميركي أكوام الدراسات الموضوعية • فالدنيا بتغير مستمر ، والتجربة

وحدها لا تكفي ان لم يرافقها البحث الذي ينبئ بتغيرات الواقع . لذلك نجد الانجليز والفرنسيين ومن هم على شاكلتهم يبنون سياستهم الاستعمارية على العرجان من القبائل المتخلفة والاقطاعية المنسوخة . ونجدهم أبداً ينحسرون عن مناطق نفوذهم القديم يلاحقهم الخزي والعار ولعنة الشعوب . ولا يعني هذا ان الانسانية تقبل الاستعمار الاميركي عن طيبة خاطر . ان الاستعمار يبقى أبداً عنوان الهمجية والعدوان على حقوق الشعوب وأمنها . ويكفي ما أشرنا اليه قبلا عن الملامح الشنيعة لهذا الاستعمار البشري .

وفي هذا العصر الذي تعصف فيه رياح التحرر بشدة ، حتى تكاد تقطع من جذوره كل شكل للاستعمار ، من قديمه وحديثه ، لا تتمكن دولة استعمارية وحدها من الوقوف في وجه الموجات المتلاحقة لتقدم الشعوب و تقدم الانسانية بأسرها . ولا بد لكل مستعمر من ان يستند الى جملة استعمارية تسند سياسته في التآمر على الشعوب ، وذلك مهما كان هذا المستعمر قويا وجبارا . أي لا بد للمستعمرين من ان يتفقوا على أمر اساسي ، هو ضرورة وقف تقدم الشعوب من أجل استمرار امكانية النهب الاستعماري ، ومن أجل أن ينظموا أمورهم على هذا الاساس في كل أنحاء العالم ، وان اختلفوا فيما بعد على اقتسام الغنائم . ذلك لان المهم بالنسبة للمستعمر هو استمرار جو النهب : نهب العالم باتفاقهم فيما بينهم ، ثم نهب بعضهم بعضا . وبالفعل ، نجد أن الدول الاستعمارية سارت ، منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة ، في طريق التكتل ، بعضها مع البعض الآخر ، ضد جميع حركات التقدم والتحرر

في العالم • فقامت فيما بينها الاحلاف العسكرية العدوانية والتكتلات الاقتصادية والاسواق المشتركة الخ •• وذلك تحت زعامة اقواها واعانها ، الولايات المتحدة الاميركية ، وقد رأينا فيما سبق من البحث كيف توصلت هذه الدولة عمليا الى هذه الزعامة •

قاد الاستعمار الاميركي جملة الاستعمار الحديث ، الجملة التي تضم كل الدول الاستعمارية ، الى شن جميع الحروب الاستعمارية ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم • وقد تكلفت الانسانية من جراء هذه الحروب (في أيام السلم •••) أكثر من ثلاثة ملايين قتيل : في الجزائر وفي أفريقيا البرتغالية وفي الهند الصينية وفي كوريا وفي الصين الخ •• ثم ان هذا الاستعمار ينزح من شتى أنحاء العالم المتخلف من الثروات والقيم ما يفوق بكثير ما تنزحه جميع الدول الاستعمارية الاخرى مجتمعة • وهو لهذا يبتكر على الدوام أكواما من الوسائل والحيل لخداع وتخدير الكثيرين من الناس في العالم • انه يبتكر الكثير من الطرق لسف كل ما هو شريف وبناء في العديد من بلاد العالم • وهو يتصرف في كل مرة على حسب الحالة الراهنة التي تظهر له بنتيجة الدراسات الموضوعية :

فهو تارة يحالف الفئات المتخلفة من الاقطاعية عندما تكون هذه قوية ومنحكمة ، وليس مجرد كونها الطبقة الحاكمة الكلاسيكية • وعندما يبدو له ان هذه الفئات الرجعية تتجه الى الزوال تجده سرعان ما يتخلى عنها الى غيرها ، بل انه يساهم في تدميرها وقتلها وتشيدها كما فعل بفاروق وحاشيته في مصر ، وكما فعل بمندريس

وجماعته في تركيا ، وكما فعل بسينغمان ري في كوريا • وثارة اخرى تجده يحاول خداع اصحاب رؤوس الاموال الوطنية لينفذ فيهم وينحرف سيرهم الطبيعي في البناء والتقدم ، ثم ليبقي منهم قلة تغتني بمساعدته على حساب خراب الآخرين ، تماما كما فعل ويفعل في أميركا اللاتينية • ومرة نجده يحالف الانتهازيين الذين يحملون الشعارات البراقة الزائفة ، الشعارات التي يصل زيفها الى ادعاء الاشتراكية والديموقراطية والحرية ، ليجعل منهم مخلوقات فاشستية تنقض على أبناء وطنهم لتنهش فيهم وفي أعراضهم وكراماتهم ، في الوقت الذي تقدم فيه له أجل الخدمات في فتح وطنها أمام رؤوس أمواله وأمام أطماعه الاخرى الخ ••

تناقضات الاستعمار

وصحيح أن الاستعمار يشكل جملة واحدة ضد تقدم الانسانية ، وانه يخضع الى زعامة الاميركيين ، السياسية والاقتصادية والعسكرية • لكن هذا لا يعني ان تلك الجملة الاستعمارية متماسكة فيما بين أجزائها المختلفة ، الاجزاء التي هي دول استعمارية متباينة ومختلفة الاطماع • فالاستعمار يشكل جملة متناقضة ومتهافنة بزعامة أميركا • انه يحمل في طياته ، وأمام الانسانية الزاحفة أبدا الى الامام وتحت الضربات الساحقة التي تنزلها به الشعوب ، عوامل موته وزواله •

ان الاحتكارات في بلد واحد في أميركا مثلا ، تتراحم فيما بينها على الارباح وعلى الاسلاب الاستعمارية الى درجة التوحش في افراس بعضها البعض • وتتراحم الشركات ضمن الاحتكار الواحد على اقسام الغنائم ،

فهي لاتتصوي تحت علم الاحتكار الذي يضمها الا في غاية ابقاء هذه الغنائم ضمن هذه الاحتكار ومنعها من التسرب الى احتكار آخر ، وليس لتوزيعها بالعدل فيما بينها • وتنتهي عمليات التزاحم هذه بين احتكارات وشركات ومشاريع البلد الواحد الى تمركز الاقتصاد في أيدي نفر ضئيل من عمالقة الاحتكاريين : (يفوز الاقوياء دوما في ظروف التزاحم ، فيصعدون باستمرار •)

قلنا فيما سبق ان ثمانى عائلات في الولايات المتحدة الاميركية تشرف على الاقتصاد الاميركي بأجمعه ، فلا يفلت من اشرافها أي نشاط اقتصادي ، مهما كان تافها هذا النشاط • ان « الديومفيرا » (وتعني سلطة الاثنين) ، التي تتألف من عائلي روكفلر ومورغن ، والتي تعرف في الولايات المتحدة بهذا الاسم ، تشرف على احتكارات وشركات ومشاريع ومصارف يغطي نشاطها اكثر من ثلثي النشاط الاقتصادي للولايات المتحدة الاميركية • أما روكفلر فانه يشرف وحده على احتكارات ومؤسسات اقتصادية تقدر رؤوس اموالها بمبلغ ٦٥٠ مليار دولار ، أي ما يوازي تقريبا ثلاثة أضعاف الدخل القومي للولايات المتحدة • بينما لا تتجاوز الثروة العائلية لال روكفلر مبلغ ٢٥ مليار دولار ، أي عشر رؤوس الاموال الخاضعة لهذه العائلة عن طريق نظام الاحتكار •

(أخذنا هذه المعلومات من بحث بعنوان

« الطفيلية » في اقتصاد الولايات المتحدة الاقتصادية

الاميركي فيكتور بيرنو ، المستشار الاقتصادي

لرئيس روزفلت) •

وفي فرانس يفهم من كلمة المائتي عائلة معنى تبعية اقتصاد

هذا البلد لاشراف هذا العدد المحدود من العائلات • وفي انجلترا والمانيا

الغربية يخضع الاقتصاد ، في كل منها ، الى عدد من العائلات لا يتجاوز العشرات . والجدير بالاتباع ان تركز الاقتصاد ، بأيدي نفر قليل من الناس ، يشتد مع الاغراق في اسلوب الاحتكار الاستعماري ، فتأتي الولايات المتحدة أولا ، ثم انجلترا وألمانيا الغربية ، ثم فرنسا .

ومن الطبيعي ان لا يكون بقية الرأسماليين من غير الاحتكاريين ، من صناعيين وتجار ومساهمين متوسطين وصغار الخ . . في البلاد الاستعمارية المار ذكرها ، مسرورين من هذا التركز الهائل في اقتصاد بلدهم بحيث تتجه الفوائد والارباح دوما نحو قمة الهرم . ومما لا شك فيه أن هؤلاء لا يتبعون كثيرا قواعد الانضباط باطاعة « الكبار » طاعة عمياء ، بل انهم يفعلون كل ما يوسعهم لعرقلة خطط ملوكهم الاحتكاريين ، علمهم يتمكنون من ايقاف سير بعض الارباح في اتجاه قمة الهرم وتوجيه هذا السير الى انفسهم . فتدب الفوضى في قواعد وأجسام الاهرامات الاحتكارية العملاقة ، لان الاكثريّة الساحقة من الناس الذين يساهمون في بناء هذه الاهرامات يتأذون من جشع الاحتكاريين الجالسين على القسم . فاذا أضفنا الى هذا شدة التناقض بين مختلف الاحتكارات والشركات ، التناقض الذي أشرنا اليه آنفا واذا أضفنا التناقضات الفنية الناشئة عن ركض الجميع وراء الربح ، وليس وراء المصلحة العامة للاقتصاد الوطني في البلد ، اتضح لنا صورة اقتصاد استعماري ضخم تهزه التناقضات وتسير به نحو اجله المحتوم .

ان التناقض بين احتكارات تنتمي الى دول استعمارية مختلفة يأخذ

شكل الخصومة بين دولتين استعماريتين أو أكثر • فكل من بريطانيا وأميركا مثلا يشترك في كونسرسیوم عالمي واحد يحتكر بترول العالم الرأسمالي بأجمعه تقريبا • إلا أن هذه الشركة لا تمنع التنافس حتى الموت بين 'حتكارات البترول الاميركية وبين احتكارات البترول الانجليزية في الكونسرسیوم المذكور • ويتبع هذا التنافس اجراءات سياسية تتخذ من قبل دولة كل فريق ضد دولة الفريق الاخر • فأمركا مثلا نسفت حكم مصدق في ايران لتضع على رأس الحكم في هذا البلد عميلا سلمها حصص انجلترا في بترول ابدان ، الحصص التي أممها مصدق وأعادها الى الشعب الايراني • ولا تزال أميركا تلاحق انجلترا في منطقة الشرق الاوسط ، علما تحرمها من نصيبها في نهب هذه المنطقة •

وهناك مثل آخر على درجة كبيرة من الاهمية ، يتعلق بشروات الكونغو الهائلة من الاورانيوم والنفاس ، فعلى اثر احتلال بلجيكا في الحرب العالمية الماضية من قبل الالمان ، التجأ مجلس ادارة شركة التعدين البلجيكية من كنتغا من بروكسل الى لندن • وكان هذا بمثابة هدية حسنة وغير منتظرة للاحتكاريين الانجليز ، وتعزية جميلة لهم عن الهزائم المنكرة التي كانت تنزل بجيوش بلادهم أمام الغزو الهتلري • وسرعان ما احتلت انجلترا مستعمرة الكونغو ، كي لا تقع في أيدي « الاعداء » البعيدين جدا : بعد المانيا عن الكونغو •• وفي النتيجة انتقلت ملكية نسبة كبيرة من أسهم شركة التعدين البلجيكية في كنتغا من أيدي الاحتكاريين الاستعماريين البلجيكين الى أيدي الاستعماريين الانجليز • ولم يكن الامريكان مسرورين كثيرا من هذه العملية ، فإذا كان للبترول أهمية

صناعية فاتقة في أيامنا هذه ، فإن للاورانيوم والذرة مستقبلا لا يمكن
التناضي عنه ، بالإضافة الى خطورة استعمالات هذا المعدن في الجيوش
الحديثة ، الاستعمالات التي تدر المليارات من الدولارات على الاحتكاريين
تجار أسلحة الدمار الشامل • اما النحاس فهو ابدا معدن ثمين جدا •

ثار الشعب الكونغولي وأجبر البلجيكيين ، في النهاية ، على الخروج
من بلاده • ونشطت شهية الاحتكارات الاميركية التي وجدت في تلك
الفترة الحرجة ، في الايام الاولى لاستقلال الكونغو وقبل توطد استقلال
هذا البلد ، فرصة حسنة لاجهاض هذا الاستقلال وربط الكونغو بمجلة
الاستعمار الاميركي • وذلك بأمل تصفية البلجيكيين والبريطانيين ،
لا لحساب شعب الكونغو ، بل لحساب الاحتكار الاميركي ، الطامع في
الاورانيوم والنحاس • وسرعان ما تنبه الاستعمار الانجلو بلجيكي الى
الخطر الاميركي المميت • الا انه كان هنالك خطر عام على اطماع جميع
المستعمرين ، الاميركان والبريطانيين والبلجيكيين : شعب الكونغو بقيادة
باتريس لومومبا • فاتفق ، من جهة ، جميع هؤلاء المستعمرين على القضاء
على الحكم الوطني الكونغولي الغض ، بقتل لومومبا مع عدد من صحبه ،
وتشتيت كل العناصر الوطنية • ومن جهة ثانية ، وفي ذات الوقت ،
أخذت كل فئة من هاتين الفئتين الاستعماريين ، فئة الاميركان وفئة الانجلو
بلجيكيين ، تعمل على توطيد مراكزها بانتظار المعركة المقبلة بينهما •
فأميركا التي اشتركت مع أصدقائها اللدوديين ، الانجليز والبلجيك ، في
قتل لومومبا وصحبه تحت راية الامم المتحدة وبمساعدة همرشولد ،
استعملت هذه الراية لاقامة حكم أجير لها بقيادة شقين ، كازافوبو

وموبوتو • الا أن الانجليز والبلجيك كانوا قد ساعدوا شقيا ثالثا ،
تشموبي ، ينقدون به ثروات كنتغا • وبالفعل فإن هذا الشقي الاخير كان
قد أعلن انفصال كنتغا ، التي تحوي جميع ثروات الكونغو الهامة وعلى
الاحص الاورانيوم والتحاس ، عن بقية اجزاء الكونغو منذ الايام الاولى
لقيام حكم لومومبا • ان أمريكا بهذا لا تحصل الا على قبض الريح من
مغامرة الكونغو ، وهي لا تنام على الضيم ، وراية الامم المتحدة ما زالت
بيدها ، وهمرشولد خادم أمين مطيع • وتطورت الاحداث ، وكاد
تشموبي يسقط تحت ضغط قوات الامم المتحدة وفي شبك مناورات
همرشولد • الا أن العمالقة الاستعماريين ، الذين يسفكون دماء عشرات
الملايين لصيانة اسلابهم ، لا يتوقفون عند دم السيد همرشولد عندما يهدد
مصالحهم ، ولو كان هذا السيد امينا عاما للامم المتحدة • وكلنا نعلم
الظروف التي قتل فيها الانجليز هذا العميل الاميركي • ثم ان مسألة
كنتغا ما زالت حتى الآن بدون حل ، وما زال الانجليز يتلقون الضربات
على أيديهم من الاميركان ليفلتوا ما يمسكونه من ثروات طائلة في
هذه المقاطعة •

ان تاريخ الاستعمار هو تاريخ صراع الاحتكاريين على سلب ونهب
الشعوب ، وليس بوسعنا الآن أن نسرد أكثر مما سردنا من الامثلة على
ذلك • الا أنه بإمكاننا القول أن الهرم الاستعماري ، الذي تقف أميركا
اليوم في قمته يتزعزع تحت ضربات الشعوب وبسبب التناقضات التي
تنهش في احشائه ، وذلك على الرغم من ضخامته وخطورته بالنسبة الى
أمن بني الانسان •

اخلاق المجتمع الاحتكاري الاستعماري

في يوم الأربعاء ١٠ تشرين أول ١٩٦٢ ، كان بإمكان قراء الصحف في سورية أن يطالعوا الخبر التالي :

« قام خمسة الاف مسن رجال البوليس الياباني باعتقال ٩٩٨ شخصا يعملون في تهريب المخدرات بواسطة الطائرات وملاحى السفن في أنحاء العالم ، وهم جزء من عصابة تهريب تضم ١٦٢٤٦٠ عضوا موزعين على مئات منظمات التهريب » .

ان أعمال المصوذية الغانسترية تزدهر في المجتمعات التي يزدهر فيها الاقتصاد الاحتكاري الاستعماري . وليس من قبيل الصدفة مثلا ان تشهر أميركا بعصابات - الغانستر الرهيبة . ان القاعدة الاخلاقية الاساسية في اقتصاد كهذا هي : كل ما هو نافع حسن ، بغض النظر عن الوسيلة وعن الاسباب . ونحن هنا لا نستتج هذه القاعدة استنتاجا من سياق الحديث ، بل نردد القاعدة الاساسية في الفلسفة البرغماتية السائدة في المدرسة الاميركية التي تخضع للمفوذ الاحتكاري الاستعماري وتقوم بخدمة الاستعماريين . ومثل هذه القاعدة تنتشر في أميركا قاعدا أخرى : الاعمال هي الاعمال . يعني ان الاعمال ، بحسب رأي سادة هذا المجتمع ، لا تتعلق الا بذاتها ، فلا تخضع لذلك الى قواعد الشرف والاخلاق ، ولا ترتبط بمصالح الانسان كإنسان : انها الربح بغض النظر عن جميع نتائج الاجتماعية السيئة أو الحسنة . ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التساهل في اخلاق التعامل الى أوخم العواقب الاجتماعية ، فلا يرى

بعض الناس في طلب المنفعة الجرام أية غضاضة • وليس من العجيب لذلك ان نجد تلك اللجئة الفدرالية المزمته ، التي أوكل إليها مهام التحقيق في أسباب ومدى انتشار الاجرام في الولايات المتحدة ، تفرق في أكوام من الفضائح والمعائب الاجرامية • وفي احدى صحواتها ، في عام ١٩٥١ ، تبين أن نفوذ العصابات يبلغ حدا مذهلا : قضاة كبار وصغار ، ومحامون ، وأطباء ورجال أمن كبار وصغار ، وشيوخ ونواب الخ • • • يتسمنون الى عصابات السطو والقتل • بل ان تنظيم العصابات بلغ درجة كبيرة أصبحت معها الغانفسترية أحد أوجه السلطة المتعددة في هذه البلاد •

ان ديوي حاكم ولاية نيويورك ، والسلف المباشر لنلسون روكفلر ، الحاكم الحالي لهذه الولاية ، كان يتحالف مع العصابات لضمان الاصوات التي توصله الى حكم الولاية ، و كان يتشارك مع هذه العصابات « لتسيير أمور منطقتة » • ان هذا يكاد لا يصدق لغرابته ، ومع ذلك فقد ثبت لدى لجنة التحقيق الفدرالية الانفة الذكر ، والغبي انتخاب ديوي المذكور لحكم الولاية عام ١٩٥١ • الا أن هذا الحليف لعصابات نيويورك لم يذهب الى بيته بعد تنجيته ، بل عين سفيرا لبلاده في احدى دول أميركا اللاتينية • بقي أن نعلم أن ديوي هذا كان المنافس الجمهوري لترومان في انتخابات الرئاسة •

وهناك قضية كبرى وقعت في فرنسا عام ١٩٥٩ وهي مشهورة باسم « قضية الاكاز » وتعلق بوراثة الاحتكار الاستعماري الذي يستثمر

مناجم الفوسفات المراكشية ، المناجم التي تنتج ٨٠٪ من الانتاج العالمي لهذه المادة . والاحتكار المذكور يساهم فيه فرنسيون وأميريكيون . لقد قتلت المساهمة الرئيسية ، وهي أميركية ، ومات قبلها المساهم الفرنسي الاساسي في ظروف مشبوهة ، وتعرض أحد الورثة للقتل .

ان من الطبيعي أن تحتاج هذه « الاعمال المتممة » الى اختصاصات استثنائية واختصاصيين من أنواع معينة ، أن تحتاج مثلا الى سفاكي الدماء . . . وهنالك أمثلة لا تحصى عن هذه الامور في هذا العالم الاستعماري . وكلها تدل بكل وضوح عن أن نشاط الاحتكارات الاستعمارية لا يتوقف عند حدود العمليات الاقتصادية ، ولا عند حدود عمليات القرصنة الدولية وعمليات نهب الشعوب واثارة الحروب الاستعمارية ، بل يتناول أيضا أعمال الاجرام العادية . فكل احتكار له عصاباتة في بلده للدفاع عن نفسه ضد الاحتكارات الاخرى ، أو للضغط على الاحتكارات الاخرى ، . أما البوليس ، في هذه البلاد ، فهو لجميع الاحتكارات . . . وان كان بعض أفرادها ينتمي الى هذه العصابة أو تلك .